مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج٢]

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

اعْتِدَاءَاتُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

عَقَدَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ» فَصْلًا: فِي تَأْلِيبِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَفِي اجْتِمَاعِهِمْ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي قَامَ فِي مَنْعِهِ وَنُصْرَتِهِ، وَفِي حِرْصِهِمْ عَلَيْهِ أَنْ يُسْلِمَهُ إِلَيْهِمْ؛ فَأَبَىٰ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَىٰ أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا يُوَارِي إِبِطُ بِلَالٍ**»، **يَعْنِي: مَا يَجْعَلُهُ تَحْتَ إِبِطِهِ**. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْمَجْلِسُ الِاسْتِشَارِيُّ

لِكَفِّ الْحُجَّاجِ عَنِ اسْتِمَاعِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ

اسْتَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ يُظْهِرُ دِينَ اللهِ تَعَالَىٰ وَيَدْعُو إِلَيْهِ حَتَّىٰ اقْتَرَبَ مَوْسِمُ الْحَجِّ، وَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتُقْدِمُ عَلَيْهِمْ، وَاحْتَارُوا فِي أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَيْفَ يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُجَّاجِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ صَادِقٌ أَمِينٌ، فَاتَّفَقُوا أَنْ يَصِفُوا الرَّسُولَ ﷺ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ، وَهُوَ رَأْيُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ -لَعَنَهُ اللهُ-.

وَبَعْدَ أَنْ اتَّفَقَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ هَذَا الْقَرَارِ بَاشَرُوا تَنْفِيذَهُ، فَجَلَسُوا بِسُبُلِ النَّاسِ حِينَ قَدِمُوا الْمَوْسِمَ، لَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَذَّرُوهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَذَكَرُوا لَهُ أَمْرَهُ.

وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَ ذَلِكَ هُوَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَىٰ أَشَدُّ مَضَاضَةً

عَلَىٰ النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ

فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتْبَعُ النَّاسَ إِذَا وَافَىٰ الْمَوْسِمَ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَفِي عُكَاظٍ، وَمِجَنَّةَ، وَذِي الْمَجَازِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَبُو لَهَبٍ خَلْفَهُ يَقُولُ: لَا تُطِيعُوهُ وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ صَابِئٌ كَذَّابٌ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدِّيَلِيِّ -وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ-، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا -وَالْفِجَاجُ: جَمْعُ فَجٍّ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ-، وَالنَّاسُ مُقْتَصُّونَ عَلَيْهِ -أَيْ: مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ؛ تَعَجُّبًا مِمَّا يَقُولُ، فَمَا سَمِعُوا بِهَذَا مِنْ قَبْلُ-، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ، وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ -وَالْغَدَائِرُ: الضَّفَائِرُ- يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

جَاءَ هَؤُلَاءِ مُجْتَمِعِينَ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ يَبْغُونَ أَنْ يُسْلِمَ لَهُمُ ابْنَ أَخِيهِ ﷺ.

أَدَّىٰ ذَلِكَ الَّذِي وَقَع إِلَىٰ أَنْ صَدَرَتْ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ، فَانْتَشَرَ ذِكْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا، وَخَشِيَ أَبُو طَالِبٍ دَهْمَاءَ الْعَرَبِ أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي تَعَوَّذَ فِيهَا بِحَرَمِ مَكَّةَ وَبِمَكَانِهِ مِنْهَا، وَتَوَدَّدَ فِيهَا أَشْرَافَ قَوْمِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَا تَارِكُهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا حَتَّىٰ يَهْلِكَ دُونَهُ.

دَائِمًا الضُّلَّالُ أَعْدَاءُ الْحَقِّ حَمْقَىٰ، وَهُمْ يُسَاهِمُونَ مُسَاهَمَةً جُلَّىٰ فِي نَشْرِ الْحَقِّ الَّذِي يُحَارِبُونَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَبَةٌ، فَهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَىٰ قَائِلِ الْحَقِّ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي نَشْرِ بَاطِلِهِمْ بِأَكَاذِيبِهِمْ، يَظُنُّونَ أَنَّ الْكَذِبَ سَوْفَ يَكُونُ لَهُ بَقَاءٌ، مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ لَا بَقَاءَ لَهُ، وَالْبَاطِلُ نَفْسُهُ قَصِيرٌ جِدًّا، وَهُوَ زَهُوقٌ لَيْسَ بِزَاهِقٍ فَقَطْ.

فَهَؤُلَاءِ عِنْدَمَا يَأْتُونَ بِالْأَكَاذِيبِ ضِدَّ قَائِلِ الْحَقِّ، وَيُشَنِّعُونَ بِأَكَاذِيبِهِمْ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي نَشْرِهَا، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ النَّاسَ سَوْفَ تَرُوجُ الْأَكَاذِيبُ عَلَيْهِمْ، لَا يَعْلَمُونَ -لِأَنَّهُمْ حَمْقَىٰ، إِذْ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَمِنَ الدُّعَاةِ إِلَيْهِ- أَنَّهُمْ يَنْشُرُونَ حَقَّ الَّذِي يُهَاجِمُونَهُ وَيَكْذِبُونَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِهِ، فَيَقُولُ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ: هَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَبْحَثَ فِي شَأْنِهِ، وَأَنْ نَنْظُرَ مَا عِنْدَهُ، فَإِذَا مَا بَحَثُوا وَفَتَّشُوا عَرَفُوا الْحَقَّ وَهَدَاهُمُ اللهُ إِلَيْهِ.

فَأَهْلُ الْبَاطِلِ بِمَا يُرَوِّجُونَ مِنْ حَرْبِهِمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَقِّ؛ يُسَاهِمُونَ مُسَاهَمَةً كَبِيرَةً فِي تَعْرِيفِ النَّاسِ بِأَهْلِ الْحَقِّ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا لَهُ سَلَفٌ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَتْ قُرَيْشٌ حَرْبَهُ -بِجِهَازِهَا الْإِعْلَامِيِّ الَّذِي كَانَ مُتَاحًا لَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ- كَانُوا يَرْصُدُونَ عَلَىٰ الْفِجَاجِ وَالسُّبُلِ أَقْوَامًا يُلَقِّنُونَ الدَّاخِلِينَ قَوْلًا مُحَدَّدًا، وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ، فَكَانُوا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَبْذُلْ جُهْدًا فِي تَعْرِيفِهِمْ بِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ، بَلْ تَوَلَّىٰ ذَلِكَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ لَهُ شَانِئُونَ.

يَعْنِي: يَقُولُونَ: سَتَلْقَوْنَ رَجُلًا يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ رَسُولٌ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، لَا تُصَدِّقُوهُ فَهُوَ سَاحِرٌ، فَيَقُولُ النَّاسُ: يَدَّعِي النُّبُوَّةَ!! مَا النُّبُوَّةُ؟ وَمَنْ هُوَ؟ وَمَا مَعْنَىٰ الرَّسُولُ؟ وَمَا الرِّسَالَةُ؟ وَمَا الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ؟ كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَفْرَادِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ الْمُسْتَعَانُ.

www.menhag-un.com

قَصِيدَةُ أَبِي طَالِبٍ

خَشِيَ أَبُو طَالِبٍ دَهْمَاءَ الْعَرَبِ أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ؛ لِأَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا ضِدَّهُ، هَذَا عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ يَسِيرُ خَلْفَهُ وَيُكَذِّبُهُ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ مَجْنُونٌ؛ فَخَشِيَ أَبُو طَالِبٍ دَهْمَاءَ الْعَرَبِ أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي تَعَوَّذَ فِيهَا بِحَرَمِ مَكَّةَ وَبِمَكَانِهِ مِنْهَا، وَتَوَدَّدَ فِيهَا أَشْرَافَ قَوْمِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُسَلِّمٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَا تَارِكَهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا حَتَّىٰ يَهْلِكَ دُونَهُ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:

وَلَمَّـــا رَأَيْـــتُ الْقَـــوْمَ لَا وُدَّ فِـــيهِمْ
وَقَـــدْ قَطَعُـــوا كُـــلَّ الْعُـــرَىٰ وَالْوَسَـــائِلِ
وَقَـــدْ صَـــارَحُونَا بِالْعَـــدَاوَةِ وَالْأَذَىٰ
وَقَـــدْ طَـــاوَعُوا أَمْـــرَ الْعَـــدُوِّ الْمُزَايِـــلِ
وَقَـــدْ حَـــالَفُوا قَوْمًـــا عَلَيْنَـــا أَظِنَّـــةً
يَعَضُّـــونَ غَيْظًـــا خَلْفَنَـــا بِالْأَنَامِـــلِ
صَـــبَرْتُ لَهُـــمْ نَفْسِـــي بِسَـــمْرَاءَ سَـــمْحَةٍ
وَأَبْـــيَضَ عَضْـــبٍ مِـــنْ تُـــرَاثِ الْمَقَـــاوِلِ

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ
لُدًى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ
وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ
بِمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ
مُوَسَّمَةُ الْأَعْضَادِ أَوْ قَصَرَاتُهَا
مُخَيَّسَةٌ بَيْنَ السَّدِيسِ وَبَازِلِ
تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرُّخَامَ وَزِينَةً
بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةٌ كَالْعَثَاكِلِ
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيبَةٍ
وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نُحَاوِلِ
وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ

www.menhajan.com

وَبِالْبَيْـــتِ، حَـــقِّ الْبَيْـــتِ، مِـــنْ بَطْـــنِ مَكَّـــةَ
وبـــــــــالله إنَّ اللهَ لَـــــــــيْسَ بِغَافِـــــــــلِ
وَبِـــــالْحَجَرِ الْمُسْـــــوَدِّ إِذْ يَمْسَـــــحُونَهُ
إِذَا اكْتَنَفُـــــوهُ بِالضُّـــــحَىٰ وَالْأَصَـــــائِلِ
وَمَـــوْطِئِ إِبْـــرَاهِيمَ فِـــي الصَّـــخْرِ رَطْبَـــةً
عَلَـــىٰ قَدَمَيْـــهِ حَافِيًـــا غَيْـــرَ نَاعِـــلِ
كَـــــذَبْتُمْ وَبَيْـــــتِ اللهِ نَتْـــــرُكُ مَكَّـــــةَ
وَنَظْعَـــــنُ إِلَّا أَمْـــــرُكُمْ فِـــــي بَلَابِـــــلِ
كَـــــذَبْتُمْ وَبَيْـــــتِ اللهِ نُبْـــــزَىٰ مُحَمَّـــــدًا
وَلَمَّـــــا نُطَـــــاعِنْ دُونَـــــهُ وَنُنَاضِـــــلِ
وَنُسْـــــلِمُهُ حَتَّـــــىٰ نُصَـــــرَّعَ حَوْلَـــــهُ
وَنُـــــذْهَلَ عَـــــنْ أَبْنَائِنَـــــا وَالْحَلَائِـــــلِ
وَيَـــنْهَضَ قَـــوْمٌ فِـــي الْحَدِيـــدِ إِلَـــيْكُمُ
نُهُـــوضَ الرَّوَايَـــا تَحْـــتَ ذَاتِ الصَّلَاصِـــلِ
وَحَتَّـــىٰ تَـــرَىٰ ذَا الضِّـــغْنِ يَرْكَـــبُ رَدْعَـــهُ
مِـــنَ الطَّعْـــنِ فِعْـــلَ الْأَنْكَـــبِ الْمُتَحَامِـــلِ

وَإِنَّـــا لَعَمْـــرُ اللهِ إِنْ جَـــدَّ مَـــا أَرَىٰ
لَتَلْتَبِسَـــنْ أَسْـــيَافُنَا بِالْأَمَاثِـــلِ
بِكَفَّـــيْ فَتًـــىٰ مِثْـــلَ الشِّـــهَابِ سَـــمَيْدَعٍ
أَخِـــي ثِقَـــةٍ حَـــامِي الْحَقِيقَـــةِ بَاسِـــلِ
وَمَـــا تَـــرْكَ قَـــوْمٍ، لَا أَبَـــا لَـــكَ، سَـــيِّدًا
يَحُـــوطُ الـــذِّمَارَ غَيْـــرَ ذَرْبٍ مُوَاكِـــلِ
وَأَبْـــيَضُ يُسْتَسْـــقَىٰ الْغَمَـــامُ بِوَجْهِـــهِ
ثِمَـــالُ الْيَتَـــامَىٰ عِصْـــمَةٌ لِلْأَرَامِـــلِ
يَلُـــوذُ بِـــهِ الْهُـــلَّاكُ مِـــنْ آلِ هَاشِـــمٍ
فَهُـــمْ عِنْـــدَهُ فِـــي رَحْمَـــةٍ وَفَوَاضِـــلِ
وَكَـــانَ لَنَـــا حَـــوْضُ السِّـــقَايَةِ فِـــيهِمُ
وَنَحْـــنُ الْكَـــدَىٰ مِـــنْ غَالِـــبٍ وَالْكَوَاهِـــلِ
شَـــبَابٌ مِـــنْ الْمُطَيِّبِـــينَ وَهَاشِـــمٍ
كَبِـــيضِ السُّـــيُوفِ بَـــيْنَ أَيْـــدِي الصَّـــيَاقِلِ
لَعَمْـــرِي لَقَـــدْ كُلِّفْـــتُ وَجْـــدًا بِأَحْمَـــدَ
وَإِخْوَتِـــهِ دَأْبَ الْمُحِـــبِّ الْمُوَاصِـــلِ

فَـــلَا زَالَ فِـــي الـــدُّنْيَا جَمَـــالًا لِأَهْلِهَـــا
وَزَيْنًـــــا لِمَـــــنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَشَـــــاكِلِ
فَمَـــنْ مِثْلُـــهُ فِـــي النَّـــاسِ أَيُّ مُؤَمَّـــلٍ
إِذَا قَاسَـــهُ الْحُكَّـــامُ عِنْـــدَ التَّفَاضُـــلِ
حَلِـــيمٌ رَشِـــيدٌ عَـــادِلٌ غَيْـــرُ طَـــائِشٍ
يُـــوَالِي إِلَهًـــا لَـــيْسَ عَنـــهُ بِغَافِـــلِ
فَـــوَ اللهِ لَـــوْلَا أَنْ أَجِـــيءَ بِسُـــنَّةٍ
تَجُـــرُّ عَلَـــىٰ أَشْـــيَاخِنَا فِـــي الْمَحَافِـــلِ
لَكِنَّـــا اتَّبَعْنَـــاهُ عَلَـــىٰ كُـــلِّ حَالَـــةٍ
مِـــنْ الـــدَّهْرِ جِـــدًّا غَيْـــرَ قَـــوْلِ التَّهَـــازُلِ
لَقَـــدْ عَلِمُـــوا أَنَّ ابْنَنَـــا لَا مُكَـــذَّبٌ
لَـــدَيْنَا وَلَا يُعْنَـــىٰ بِقَـــوْلِ الْأَبَاطِـــلِ
فَأَصْـــبَحَ فِينَـــا أَحْمَـــدٌ فِـــي أَرُومَـــةٍ
تُقَصِّـــرُ عَنْـــهُ سَـــوْرَةُ الْمُتَطَـــاوِلِ
حَـــدِبْتُ بِنَفْسِـــي دُونَـــهُ وَحَمَيْتُـــهُ
وَدَافَعْـــتُ عَنـــهُ بِالـــذّرىٰ وَالْكَلَاكِـــلِ

فَأَيَّـــــدَهُ رَبُّ الْعِبَـــــادِ بِنَصْـــــرِهِ
وَأَظْهَـــرَ دِينًـــا حَقُّـــهُ غَيْـــرُ بَاطِـــلِ

إِلَىٰ آخِرِ الْقَصِيدَةِ، وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ جِدًّا.

قَالَ فِيهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ قَصِيدَةٌ عَظِيمَةٌ بَلِيغَةٌ جِدًّا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَهَا إِلَّا مَنْ نُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَهِيَ أَفْحَلُ مِنَ الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ، وَأَبْلَغُ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَىٰ فِيهَا جَمِيعًا».

فَوَالُوهَا، وَانْظُرُوا فِيهَا، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْفَظَهَا فَلْيَحْفَظْهَا.

اسْتَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجَهْرًا؛ لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ صَارِفٌ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ رَادٌّ، وَلَا يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ صَادٌّ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ

لَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَسَالِيبَ كَثِيرَةٍ لِوَقْفِ الدَّعْوَةِ مِنْهَا:

- طَلَبَتْ مِنْ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُوقِفَ نشَاطَ الرَّسُولِ ﷺ.

عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنَّا، فَقَالَ: يَا عَقِيلُ، انْطَلِقْ فَأْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ كِبْسٍ يَقُولُ -أَيْ: مِنْ بَيْتٍ صَغِيرٍ-، فَجَاءَ بِهِ فِي الظَّهِيرَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ قَالَ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلَاءِ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ أَذَاهُمْ، فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَمَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَىٰ أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا بِشُعْلَةٍ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**وَاللهِ، مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ مَا بُعِثْتُ بِهِ مِنْ أَنْ يُشْعِلَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ**»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللهِ مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي قَطُّ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ»، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ».

- وَلَمَّا رَأَوْا ثَبَاتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرَادُوا فِتْنَتَهُ بِالْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالنِّسَاءِ.

فَهَذَا أُسْلُوبٌ لَجَؤُوا إِلَيْهِ أَيْضًا وَهُوَ الْإِغْرَاءُ -التَّرْغِيبُ-، وَقَدْ لَجَؤُوا قَبْلُ إِلَىٰ التَّرْهِيبِ، فَلَمَّا لَمْ يُفْلِحْ أَرَادُوا إِغْرَاءَهُ وَفِتْنَتَهُ بِالْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالنِّسَاءِ، فَعَرَضُوا كُلَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ ﷺ بَقِيَ ثَابِتًا، وَمَضَىٰ يُبَلِّغُ دِينَ اللهِ لِلْعَالَمِينَ.

لَمَّا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ وَنَظَرُوا فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَىٰ أَنْ يُكَلِّمَهُ عُتْبَةُ أَبُو الْوَلِيدِ، فَذَهَبَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُغْرِيَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالنِّسَاءِ؛ حَتَّىٰ يَكُفَّ الدَّعْوَةَ عَنْهُ؛ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ حَاجَةٌ؛ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّىٰ تَكُونَ أَغْنَىٰ قُرَيْشٍ رَجُلًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ -يَعْنِي: حُبَّ النِّكَاحِ أَوِ الزَّوَاجِ-؛ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءٍ قُرَيْشٍ فَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَرَغْتَ؟**». قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **حَتَّىٰ بَلَغَ:** ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١- ١٣]».

فَهَذَا كَانَ أُسْلُوبًا مِنْ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ وَهُوَ الْإِغْرَاءُ، التَّرْغِيبُ بَعْدَ أَنْ لَجَؤُوا إِلَىٰ التَّرْهِيبِ.

لَمَّا رَأَىٰ الْمُشْرِكُونَ إِعْرَاضَ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ عُرُوضِهِمْ، وَثَبَاتَهُ عَلَىٰ دِينِ اللهِ ﷻ؛ بَدَؤُوا فِي أُسْلُوبٍ آخَرَ يُحَارِبُونَ بِهِ الدَّعْوَةَ وَهُوَ:

- طَلَبُ الْآيَاتِ وَطَلَبُ خَرْقِ الْعَادَاتِ عَلَىٰ وَجْهِ الْعِنَادِ لَا عَلَىٰ وَجْهِ طَلَبِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِقَّيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اشْهَدُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَرَأَوْا تِلْكَ الْآيَةَ فَهَلْ أَسْلَمُوا؟!

أَنْزَلَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا وَنُؤْمِنَ بِكَ، قَالَ: وَتَفْعَلُونَ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ عَزَّوَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: «**إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ الصَّفَا لَهُمْ ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**»، قَالَ: «**بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَلِهَذَا لَمْ يُجَابُوا إِلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّا طَلَبُوا وَلَا إِلَىٰ مَا إِلَيْهِ رَغِبُوا؛ لِعِلْمِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ أَنَّهُمْ لَوْ عَايَنُوا وَشَاهَدُوا مَا أَرَادُوا لَاسْتَمَرُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، وَلَظَلُّوا فِي غِيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ.

فَهَؤُلَاءِ تَعَنَّتُوا، اعْتَرَضُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ وَهَذَا أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ: يَتَعَنَّتُونَ فِي الْأَسْئِلَةِ وَيَطْلُبُونَ أَنْوَاعًا مِنَ الْآيَاتِ، وَيُرِيدُونَ خَرْقَ الْعَادَاتِ عَلَىٰ وَجْهِ الْعِنَادِ لَا عَلَىٰ وَجْهِ طَلَبِ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ؛ لِهَذَا لَمْ يُجَابُوا إِلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّا طَلَبُوا وَلَا إِلَىٰ مَا إِلَيْهِ رَغِبُوا؛ لِعِلْمِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ أَنَّهُمْ لَوْ

عَايَنُوا وَشَاهَدُوا مَا أَرَادُوا لَاسْتَمَرُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، وَلَظَلُّوا فِي غِيِّهِمْ وضَلَالِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ.

وَقَدْ ذَكَر ذَلِكَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَا مَرَّ مِنَ الْآيَاتِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ عَنْهُمْ الْجِبَالَ فَيَزْدَرِعُوا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُؤْتِيَهُمْ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أُهْلِكَ مَنْ قَبْلِهِمْ، قَالَ: «**لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَجْعَلِ الصَّفَا لَنَا ذَهَبًا، وَنُؤْمِنَ بِكَ، قَالَ: «**وَتَفْعَلُوا؟**» قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

فَهَذَا مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي لَجَؤُوا إِلَيْهَا وَاعْتَرَضُوا بِهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

أَهَمُّ اعْتِرَاضَاتِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

مَا هِيَ أَهَمُّ اعْتِرَاضَاتِهِمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا سَجَّلَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ؟

*** أَهَمُّ اعْتِرَاضَاتِ الْمُشْرِكِينَ:**

١ - اعْتِرَاضُهُمْ عَلَىٰ الْوَحْدَانِيَّةِ.

لَمْ يَكُنْ كُفَّارُ مَكَّةَ يُنْكِرُونَ أَنَّ اللهَ خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]. وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ اللهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وَقَدِ انْتَقَلَتْ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُمْ؛ لِهَذَا قَابَلُوا الدَّعْوَةَ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ بِأَعْظَمِ الْإِنْكَارِ وَأَشَدِّ الِاسْتِغْرَابِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٤-٧].

لَمْ يَكُنْ تَصَوُّرُهُمْ للهِ تَعَالَىٰ وَلِعَلَاقَتِهِ بِخَلْقِهِ صَحِيحًا، إِذْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ للهِ تَعَالَىٰ صَاحِبَةً مِنَ الْجِنِّ، وَأَنَّهَا وَلَدَتِ الْمَلَائِكَةَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ -تعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا-؛ فَكَانَتْ الْآيَاتُ تَنْزِلُ مُبَيِّنَةً أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجِنَّ وَالْمَلَائِكَةَ كَمَا خَلَقَ الْإِنْسَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٠ - ١٠١].

وَتَنْزِلُ الْآيَاتُ مُبَيِّنَةً أَنَّ الْجِنَّ يُقِرُّونَ للهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَيُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَلَاقَةُ نَسَبٍ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٨].

وَمُطَالَبَةً لِلْمُشْرِكِينَ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَعَدَمِ الْقَوْلِ بِالظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ كَانَتْ تَنْزِلُ الْآيَاتُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم: ٢٧-٢٨].

وَتَنْزِلُ مُوَضِّحَةً أَنَّهُ لَا يُعْقَلُ أَنْ يَمْنَحَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ الْبَنِينَ، وَيَكُونُ لَهُ بَنَاتٌ، وَهُنَّ أَدْنَىٰ قِيمَةً فِي رَأْيِهِمْ مِنَ الْبَنِينَ: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [الإسراء: ٤٠].

وَتَنْزِلُ الْآيَاتُ مُحَمِّلَةً الْمُشْرِكِينَ مَسْئُولِيَّةَ أَقْوَالِهِمْ الَّتِي لَا تَقُومُ عَلَىٰ دَلِيلٍ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩].

فَهَذَا مِنْ أَهَمِّ اعْتِرَاضَاتِهِمْ الَّتِي اعْتَرَضُوا بِهَا عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَرِضُونَ عَلَىٰ الْأُلوهِيَّةِ؛ يُثْبِتُونَ الرُّبُوبِيَّةَ وَلَا يُقِرُّونَ بِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ جَلَّوَعَلَا وَحْدَهُ، وَوَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ التَّخْلِيطِ مَا أُثْبِتُهُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِيهِ.

٢- مِنَ اعْتِرَاضَاتِهِمْ أَيْضًا: كُفْرُهُمْ بِالْآخِرَةِ.

أَمَّا دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَقَدْ قَابَلَهَا الْمُشْرِكُونَ بِالسُّخْرِيَةِ وَالتَّكْذِيبِ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٧-٨]؛ فَقَدْ كَانُوا يُنْكِرُونَ بَعْثَ الْمَوْتَىٰ: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، وَيُقْسِمُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْأَيْمَانِ الْمُغَلَّظَةِ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٨-٣٩]، وكانوا يظنون أنه لا توجد حياة فِي غير الدنيا، ويطلبون إحياء آبائهم ليصدقوا بالآخرة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٦ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٤-٢٧].

وَفَاتَهُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: جَاءَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ عَظْمٌ رَمِيمٌ، وَهُوَ يُفَتِّتُهُ وَيَذْرُوهُ فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَتَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ هَذَا؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ يُمِيتُكَ اللهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ يَبْعَثُكَ، ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَىٰ النَّارِ**»، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

كَانَتْ أَسَالِيبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي إِقْنَاعِ النَّاسِ بِالْبَعْثِ اعْتَمَدَتْ عَلَىٰ خِطَابِ الْعَقْلِ، وَالِانْسِجَامِ مَعَ الْفِطْرَةِ، وَالتَّجَاوُبِ مَعَ الْقُلُوبِ، فَقَدْ ذَكَّرَ اللهُ عِبَادَهُ أَنَّ حِكْمَتَهُ تَقْتَضِي بَعْثَ الْعِبَادِ لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ؛ لِبَيَانِ الطَّرِيقِ الَّذِي بِهِ يَعْبُدُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ، وَيَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ نَهْيَهُ، فَمِنَ الْعِبَادِ مَنْ رَفَضَ الِاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَطَغَىٰ وَبَغَىٰ، أَفَلَيْسَ بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ الطَّالِحُ وَالصَّالِحُ، لَا بُدَّ أَنْ يَجْزِيَ اللهُ الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٨].

إِنَّ الْمَلَاحِدَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَظُنُّونَ الْكَوْنَ خُلِقَ عَبَثًا وَبَاطِلًا لَا لِحِكْمَةٍ، وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَصِيرِ الْمُؤْمِنِ الْمُصْلِحِ وَالْكَافِرِ الْمُفْسِدِ، وَلَا بَيْنَ التَّقِيِّ وَالْفَاجِرِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

وضَرَبَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ لِلنَّاسِ الْأَمْثِلَةَ فِي إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ، وَأَنَّ الَّذِي أَحْيَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَةِ الْحَيَاةِ إِلَىٰ الْجُثَثِ الْهَامِدَةِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

وذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ إِحْيَاءَ بَعْضِ الْأَمْوَاتِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَأَخْبَرَ النَّاسَ فِي كِتَابِهِ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، بِأَنَّهُ ضَرَبَ عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَتِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ قَامُوا مِنْ رَقْدَتِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الزَّمَانِ الْمُتَطَاوِلِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]. ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ الَّتِي اسْتَخْدَمَها رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مُنَاظَرَاتِهِ مَعَ زُعَمَاءِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ.

٣- مِنَ اعْتِرَاضَاتِهِمْ: اعْتِرَاضُهُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ نَفْسِهِ ﷺ.

اعْتَرَضُوا عَلَىٰ شَخْصِ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَدْ كَانُوا يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ الرَّسُولَ لَا يَكُونُ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَلَكًا، أَوْ مَصْحُوبًا بِالْمَلَائِكَةِ: ﴿وَمَا

مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤]، ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٨-٩]؛ أَيْ: لَوْ بَعَثْنَا إِلَىٰ الْبَشَرِ رَسُولًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَكَانَ عَلَىٰ هَيْئَةِ الرَّجُلِ؛ يُمْكِنُهُمْ مُخَاطَبَتُهُ وَالْأَخْذُ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ كذَلِكَ لَالْتَبَسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ كَمَا هُمْ يَلْبِسُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فِي قَبُولِ رِسَالَةِ الْبَشَرِ.

وَكَانُوا يُرِيدُونَ رَسُولًا لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ طَعَامٍ وَسَعْيٍ فِي الأَسْوَاقِ: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٧-٨]، وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا بِأَنَّ الرُّسُلَ جَمِيعًا كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَسْعَوْنَ وَيَعْمَلُونَ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وَيُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ كَثِيرَ الْمَالِ كَبِيرًا فِي أَعْيُنِهِمْ ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]، يُرِيدُونَ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ بِمَكَّةَ، وَعُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ بِالطَّائِفِ.

وَنَسَبُوا الرَّسُولَ ﷺ إِلَىٰ الْجُنُونِ: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الحجر: ٦-٧]، ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ [الدخان: ١٣-١٤].

وَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].

كَمَا نَسَبُوهُ إِلَىٰ الْكَهَانَةِ وَالشِّعْرِ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٢٩-٣٠]؛ كَمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَنْظِمُ الشِّعْرَ، وَأَنَّهُ رَاجِحُ الْعَقْلِ، وَأَنَّ مَا يَقُولُهُ بَعِيدٌ عَنْ سَجْعِ الْكُهَّانِ وَقَوْلِ السَّحَرَةِ.

وَنَسَبُوهُ ﷺ إِلَىٰ السِّحْرِ وَالْكَذِبِ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٧-٤٨]، وَكَانَتْ الْآيَاتُ تَتَنَزَّلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُفَنِّدُ مَزَاعِمَ الْمُشْرِكِينَ، وَتُبَيِّنُ لَهُ أَنَّ الرُّسُلَ السَّابِقِينَ اسْتُهْزِئَ بِهِمْ، وَأَنَّ الْعَذَابَ عَاقِبَةُ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، وَتُعَلِّمُهُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يُكَذِّبُونَ شَخْصَهُ؛ وَلَكِنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ رِسَالَتَهُ، وَيَدْفَعُونَ آيَاتِ اللهِ بِتِلْكَ الْأَقَاوِيلِ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فَهَذَا مَوْقِفُهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاعْتِرَاضُهُمْ عَلَىٰ شَخْصِهِ الْكَرِيمِ.

٤- وَأَمَّا مَوْقِفُهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَاعْتِرَاضُهُمْ عَلَيْهِ.

فَإِنَّهُمْ كَذَلِكَ لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللهِ؛ وَاعْتَبَرُوهُ ضَرْبًا مِنَ الشِّعْرِ الَّذِي كَانَ يَنْظِمُهُ الشُّعَرَاءُ، مَعَ أَنَّ كُلَّ مَنْ قَارَنَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ أَشْعَارِ

الْعَرَبِ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ عَنْهَا: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠]، وَكَيْفَ يَكُونُ الْقُرْآنُ شِعْرًا وَقَدْ نَزَلَ فِيهِ ذَمٌّ لِلشُّعَرَاءِ الَّذِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ وَيَقُولُونَ خِلَافَ الْحَقِيقَةِ؟! ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ -٢٢٦]؛ فَهُوَ كَلَامُ اللهِ الْمُنَزَّلُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، لَيْسَ شَبِيهًا بِقَوْلِ الشُّعَرَاءِ، وَلَا بِقَوْلِ الْكُهَّانِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣].

وَقَدْ أَدْرَكَ الشُّعَرَاءُ قَبْلَ غَيْرِهِمْ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ لَيْسَ شِعْرًا، وَمَنْ فَرْطِ تَكْذِيبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ، وَكَانَ غُلَامًا لِبَعْضِ بُطُونِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ بَيَّاعًا يَبِيعُ عِنْدَ الصَّفَا، وَرُبَّمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَيُكَلِّمُهُ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَذَاكَ كَانَ أَعْجَمِيَّ اللِّسَانِ لَا يَعْرِفُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا النَّزْرَ الْيَسِيرَ، فَبِقَدْرِ مَا يَرِدُ جَوَابُ الْخِطَابِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

أَيْ: فَكَيْفَ يَتَعَلَّمُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ وَمَعَانِيهِ التَّامَّةِ الشَّامِلَةِ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ؟! لَا يَقُولُ هَذَا مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ مُسْكَةٍ مِنَ الْعَقْلِ.

وَاعْتَرَضُوا عَلَىٰ طَرِيقَةِ نُزُولِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبُوا أَنْ يَنْزِلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، مَعَ أَنَّ نُزُولَهُ مُفَرَّقًا أَدْعَىٰ لِتَثْبِيتِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَتَيْسِيرِ فَهْمِهِ وَحِفْظِهِ وَامْتِثَالِهِ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

فَلَمَّا اعْتَرَضَ الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ الْقُرآنِ، وَعَلىٰ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الِاعْتِرَاضَاتِ؛ تَحَدَّاهُمُ اللهُ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَأَعْلَنَ عَنْ عَجْزِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مُجْتَمِعِينَ عَنْ ذَلِكَ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

بَلْ هُمْ عَاجِزُونَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣-١٤].

وَحَتَّىٰ السُّورَةُ الْوَاحِدَةُ هُمْ عَاجِزُونَ عَنْهَا: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٧ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٧-٣٨].

فَعَجْزُهُمْ -مَعَ أَنَّ الْفَصَاحَةَ كَانَتْ مِنْ سَجَايَاهُمْ، وَكَانَتْ أَشْعَارُهُمْ وَمُعَلَّقَاتُهُمْ فِي قِمَّةِ الْبَيَانِ- ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَكَلَامُهُ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ.

مِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ

لَمْ تَزَلْ أَصْدَاءُ تِلْكَ الصَّيْحَةِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] مُدَوِّيَّةً فِي جَنَبَاتِ أُمِّ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]؛ فَقَامَ الرَّسُولُ ﷺ مُشَمِّرًا عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ، صَادِعًا بِالْحَقِّ، دَاعِيًا إِلَىٰ هَجْرِ الْأَوْثَانِ، مُسَفِّهًا عُقُولَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا، مُبَيِّنًا حَقَائِقَ الْإِسْلَامِ، دَاحِضًا الْأَبَاطِيلَ الْعَقَدِيَّةَ الَّتِي تُعَشِّشُ فِي عُقُولِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

عِنْدَمَا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَثَرَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ لَمْ يَكُنْ مَحْدُودًا كَمَا كَانَ الْحَالُ مَعَ مَنْ دَعَا إِلَىٰ نَبْذِ الْأَصْنَامِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَأَمْثَالِ زَيْدِ بْنِ نُفَيْلٍ، وورَقَةَ، وَابْنِ صَيْفِيٍّ قَامَتْ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَنْ تَبِعَهُ، وَأَخَذَتْ تُمَارِسُ شَتَّىٰ الْأَسَالِيبِ وَوَسَائِلِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ؛ لِصَدِّهِمْ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي هَدَّدَ مَصَالِحَهُمْ الَّتِي يَجْنُونَهَا مِنْ وُجُودِ الْحَرَمِ فِي أَرْضِهِمْ، وَحَطَّ مِنْ تَكَبُّرِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، وَوَقَفَ أَمَامَ شَهَوَاتِهِمْ فِي السَّيْطَرَةِ وَاقْتِرَافِ السَّيِّئَاتِ وَالْمُوبِقَاتِ، وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ النُّفُوذِ وَالْمَصَالِحِ.

فَلْنَنْظُرْ بِنَوْعِ اسْتِفَاضَةٍ فِي تِلْكَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي لَجَؤُوا إِلَيْهَا فِي مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ مِنْ أَبْرَزِ أَسَالِيبِهِمْ فِي مُحَارَبَةِ دَعْوَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ:

- مُحَاوَلَةُ قُرَيْشٍ لِإِبْعَادِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ مُنَاصَرَةِ وَحِمَايَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنَّا، فَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ لَا يَنِي يَحْمِيهِ وَيُدَافِعُ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ دِينِهِ، ودَعَا أَمْرُ حِمَايَةِ أَبِي طَالِبٍ لِابْنِ أَخِيهِ مَعَ تَصْمِيمِهِ عَلَىٰ مُنَاصَرَتِهِ وَعَدَمِ خِذْلَانِهِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ غَمًّا وَحَسَدًا وَمَكْرًا؛ فَمَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ هَذَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، أَنْهَدُ فَتًى فِي قُرَيْشٍ، وَأَجْمَلُهُمْ، فَلَكَ عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ، وَاتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلِمْ إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ هذَا الَّذِي خَالَفَ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، فَنَقْتُلُهُ فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ، قَالَ: وَاللهِ لَبِئْسَ مَا تَسُومُونَنِي!! أَتُعْطُونِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ، وَأُعْطِيكُمْ ابْنِي فَتَقْتُلُونَهُ، هَذَا وَاللهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا.

هُوَ عَرْضٌ عَجِيبٌ يَدُلُّ عَلَىٰ سَفَاهَةٍ مُتَمَكِّنَةٍ وَحَمَاقَةٍ مُتَجَذِّرَةٍ!! وَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَسْمَعُ عَجَبًا، وَيَقِفُ مَذْهُولًا أَمَامَ مُرُوءَةِ أَبِي طَالِبٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ رَبَطَ أَبُو طَالِبٍ مَصِيرَهُ بِمَصِيرِ ابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَلْ وَاسْتَفَادَ مِنْ كَوْنِهِ زَعِيمَ بَنِي هَاشِمٍ أَنْ ضَمَّ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ إِلَيْهِ فِي حِلْفٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ؛ تَأْيِيدًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، مُسْلِمَهُمْ وَمُشْرِكَهُمْ عَلَىٰ السَّوَاءِ، وَأَجَارَ ابْنُ أَخِيهِ مُحَمَّدًا إِجَارَةً مَفْتُوحَةً لَا تَقْبَلُ التَّرَدُّدَ أَوِ الْإِحْجَامَ.

كَانَتْ هَذِهِ الْأَعْرَافُ الْجَاهِلِيَّةُ وَالتَّقَالِيدُ الْعَرَبِيَّةُ تُسَخَّرُ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِخِدْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ قَامَ أَبُو طَالِبٍ حِينَ رَأَىٰ قُرَيْشًا تَصْنَعُ مَا تَصْنَعُ فِي بَنِي

هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ، مَنْ مَنْعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْقِيَامِ دُونَهُ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وقَامُوا مَعَهُ، وَأَجَابُوهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ عَدُوِّ اللهِ اللَّعِينِ.

فَلَمَّا رَأَىٰ أَبُو طَالِبٍ مِنْ قَوْمِهِ مَا سَرَّهُ مِنْ جُهْدِهِمْ مَعَهُ، وَحَدَبِهِمْ عَلَيْهِ، جَعَلَ يَمْدَحُهُمْ، وَيَذْكُرُ قَدِيمَهُمْ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ، وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ؛ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ، وَلِيَحْدِبُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﷺ فَقَالَ:

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ ... فَعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا

وَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنَافِهَا ... فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا ... هُوَ الْمُصْطَفَىٰ مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّهَا وَثَمِينُهَا ... عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... إِذَا مَا ثَنَوْا صُعْرَ الْخُدُودِ نَقِيمُهَا

كَانَ شَاعِرًا مُجِيدًا مُجِيدًا

حِينَ حَاوَلَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَخْفِرَ جِوَارَ أَبِي طَالِبٍ تَصَدَّىٰ لَهُ حَمْزَةُ، فَشَجَّهُ بِقَوْسِهِ، وَقَالَ لَهُ: تَشْتُمُ مُحَمَّدًا وَأَنا عَلَىٰ دِينِهِ، فَرُدَّ ذَلِكَ إِنِ اسْتَطَعْتَ.

إِنَّهَا ظَاهِرَةٌ فَذَّةٌ أَنْ تَقُومَ الْجَاهِلِيَّةُ بِحِمَايَةِ مَنْ يَسُبُّ آلِهَتَهَا، وَيَعِيبُ دِينَهَا، وَيُسَفِّهُ أَحْلَامَهَا، وَبِاسْمِ هَذِهِ الْقِيَمِ يُقَدِّمُونَ الْمُهَجَ وَالْأَرْوَاحَ، وَيَخُوضُونَ الْمَعَارِكَ وَالْحُرُوبَ، وَلَا يُمَسُّ مُحَمَّدٌ بِسُوءٍ ﷺ.

مَوْقِفُ أَبِي طَالِبٍ؛ لَمْ يَجِدْ ابْنُ كَثِيرٍ تَفْسِيرًا لَهُ سِوَىٰ قَوْلِهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ امْتَحَنَ قَلْبَهُ بِحُبِّ مُحَمَّدٍ ﷺ حُبًّا طَبِيعِيًّا لَا شَرْعِيًّا، وَكَانَ اسْتِمْرَارُهُ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَبِمَا صَنَعَهُ لِرَسُولِهِ مِنَ الْحِمَايَةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، وَلَتَجَرَّؤُوا عَلَيْهِ، وَلَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ إِلَيْهِ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]».

وَبَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ مَا فَعَلَ عَمُّهُ الآخَرُ، وَكَيْفَ انْقَسَمُوا هَذَا الِانْقِسَامَ الْعَجِيبَ؛ فَوَاحِدٌ يَتَّبِعُهُ يُسَفِّهُ قَوْلَهُ وَيُكَذِّبُهُ، وَيَقِفُ لَهُ بِالْمِرْصَادِ أَنْ يُبَلِّغَ دَعْوَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ الْعِبَادِ، وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ؛ فَمَا يَزَالُ فِي نُصْرَتِهِ وَحِمَايَتِهِ وَقَدْ رَبَطَ مَصِيرَهُ بِمَصِيرِهِ، وَجَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ لِيَكُونُوا حِلْفًا وَاحِدًا، وَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِرَسُولِ اللهِ، حَتَّىٰ إِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا حَاصَرُوا الدَّعْوَةَ حِصَارًا اقْتِصَادِيًّا -لَا يَبِيعُونَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَبْتَاعُونَ مِنْهُمْ، وَلَا يَنْكِحُونَ مِنْهُمْ، وَلَا يُنَاكِحُونَهُمْ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْمُعَاهَدَةِ الظَّالِمَةِ الَّتِي تَعَاهَدُوا فِيهَا عَلَىٰ مُقَاطَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَنِي هَاشِمٍ-؛ دَخَلُوا جَمِيعًا الشِّعْبَ -مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ-، وَكَانُوا عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَصَبَرُوا عَلَىٰ الْجُوعِ وعَلَىٰ الظَّمَأِ، وَعَلَىٰ مَا لَاقَوْا مِنَ الْعَنَاءِ فِي الشِّعْبِ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ كَامِلَاتٍ، حَتَّىٰ أَكَلُوا أَوْرَاقَ الشَّجَرِ، فَلَمَّا فَنِيَتْ أَوْرَاقُ الشَّجَرِ أَكَلُوا لِحَاءَ الشَّجَرِ!!

حَتَّىٰ كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ رُبَّمَا خَرَجَ لِيَبُولَ فَيَسْمَعُ لِوَقْعِ الْبَوْلِ صَوْتًا؛ فَيُفَتِّشُ وَيَبْحَثُ فَإِذَا قِطْعَةٌ مِنْ جِلْدِ بَعِيرٍ، فَيَأْخُذُهَا، ثُمَّ يَغْسِلُهَا، ثُمَّ يَحْرِقُهَا، ثُمَّ يَفُتُّهَا، ثُمَّ يَسْتَفُّهَا، وَيَشْرَبُ جَرْعَةً مِنْ مَاءٍ يَتَبَلَّغُ بِذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ كَافِرٌ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ!!

فَهَذَا أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ قُرَيْشٍ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ، والَّذِي يَبْحَثُ فِي السِّيرَةِ ويَتَعَلَّمُهَا؛ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُحِيطَ عِلْمًا بِمَا كَانَ، وَأَمَّا أَنْ يَمُرَّ مُرُورَ الْكِرَامِ، أَوْ يَحْسُوَ حَسْوَ الطَّائِرِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَفْهَمَ مَا كَانَ، وَلَنْ يُقَدِّرَ التَّضْحِيَاتِ الَّتِي ضَحَّىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي رَغَدٍ مِنَ الْعَيْشِ؛ كَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ عَلَىٰ مَا يَأْتِي مِنْ ذِكْرِهِ رضي الله عنه.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا، وصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com